العلوم

فى البحوث الروحيـــة

للاستاذ عبد المغنى على حسين

خريج جامعة برمنجهام

— ٣ —

أمامى الآن ذلك الكتاب الصغير « كيف ثبت لى خلود النفس البشرية » لذلك العالم الكبير « سر ألفر لدج » . كتاب خليق بأن يفتح لرجال العلم ميدان بحث جديد لا يمكن التكهن بمدى اتساعه ، فهو يلفت النظر بشدة الى حقيقة كبرى ، تتراءى من وراء ظواهر غامضة ، لم يلتفت اليها العلم حتى الآن لما يحف بها من دجل يبدو معه البحث فيها عاراً ومنقصة .

لقد كمن الرجل فى ظل العلم بشتى الصور فى كل العصور . وقديماً بينما كان آباء الكيمياء الحديثة — جابر بن حيان الصوفى ، وأبو بكر الرازى ومن أخذ عنهما من الفرنج — يستنبطون المركبات الجديدة ، ويستقطرون الزيوت والحوامض ، كان أخوهم الدجال ، يزور عباد المال موهماً إياهم باسم الكيميا أن فى مقدوره قلب رصاصهم ذهبا ، ثم يذهب عنهم وقد استلب ما كان لديهم من ذهب وترك رصاصهم كما هو ، فيتبهون بعد فوات الوقت الى أن الذى يعرف سر صنع الذهب من الرصاص لا يكون بحاجة لعرض خدماته على الناس .

ولكن اذا اجتمع العلم والدجل فى ميدان ، فهل للعلم أن يهرب ؟ كلا . بل عليه أن يغزو .

سلخ لدج فى بحوثه تلك زهاء الأربعين عاما ، وكون فيها رأياً نهائيا لم يتحول عنه قيد أنملة منذ كونه ، ولم يفرط فى اذاعته وبسطه بمختلف التواليف فى صراحة تامة ، ومع شىء من التضحية أيضا ، فقد تعرض اسمه الضخم للتجريح ، وعقله الكبير للاتهام .

قلب معى صفحات تاريخ العلم الحديث . هل ترى نظرية ضخمة جاءت وليدة ساعة أو يوم ؟ من المعلوم المشهور أن دارون قضى عشرين عاما تختمر نظريته فى ذهنه ، وهو يقدم على البوح بها ثم يحجم ، ولما أذاعها أخيراً قوبلت بوجوه مستطيلة ، وأفواه فاغرة ، ولم تتخذ سبيلها الى عقول الناس بعد اذاعتها إلا ببطء شديد ، ولا يزال لها الى اليوم أعداء متحمسون .

أغلب الظن أننا اليوم أمام نظرية علمية جديدة من هذا الوزن الثقيل ، سيتفسر بها الكثير مما يحير اللب اليوم ، وحسبه فى كل العصور ، بل ربما أفضت الى تفسير كل شىء على أساس جديد . نظرية روحية سيقال إن بطلها ألفر لدج . والحقيقة أن النظرية الضخمة لا يتفرد بتشييدها عادة عقل واحد مهما تجبر ، وهذه النظرية قد ساهم فيها آخرون لن تكون جهودهم منسية ، نخص بالذكر منهم « كروكس » و « ولاس » ، من علماء الجيل السابق ، والعالم الفرنسى المعاصر « شارل ريشيه » .

ولكن اذا كانت هناك حقيقة ظواهر من هذا النوع ، ينتفى عنها الدجل ، وتشعر بأقل أمل فى الوصول إلى كشف خطير كالذى يجاهر به لدج ، فلماذا نرى جمهور رجال العلم يغمضون عنها عيونهم ، ويضعون أصابعهم فى آذانهم كلما صاح فيهم لدج وأهاب بهم ؟ هل يعقل أن يوجد ميدان بحث كهذا ، جليل النفع ، خطير الغاية ثم لا يلجه من العلماء الا القليل النادر ، وترفض الاعتراف به المجامع العلمية ، وتظل قاعات البحث فى الجامعات خالية من ظل أثر له ؟ لقد عهدنا رجال العلم ككلاب الصيد ، تشم ريح الفريسة من بعيد ، فلماذا نرى منهم البرود والجمود فى هذا الموضوع ؟

هى حال غريبة حقا . ولكن يظهر أن صيحات لدج قد بدأ صداها يدوى فى الآفاق العلمية . فقد جاء فى عدد ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٣٣ من مجلة نايتشر (nature) الانجليزية (مجلة علمية يعرفها كل مشتغل بالعلوم تمثل الرأى العام العلمى أصدق تمثيل) مقال من قلم التحرير الذى يرأسه (سر رتشارد غريغورى) بعنوان (العلم والبحوث الروحية) نقتطف منه مايلى :—

(إن الظواهر غير العادية ، التي تشاهد في حالة النوم المغنطيسي وفي حالات الذهول والكتابة الأوتوماتيكية ونحوها ، قد أصبحت الآن جديرة بالتفات الباحثين من حملة الدرجات الجامعية . . . . إن الحاجة إلى البحث الصريح الجرىء في تلك الظواهر لتزداد يوما عن يوم . . . . من الواضح الجلي أن تبعة عدم الوصول إلى تعليل لتلك الظواهر تقع على عاتق الهيئات العلمية الرسمية . . . . تلك الظواهر الغامضة الخارقة للعادة قد أصبحت من مواد البحث الجدي في كثير من المراكز العلمية بأوربا وأمريكا ، وقد حان الوقت على ما نظن لأن تعد العدة لمثل هذا البحث في بريطانيا . . . . لا يتسرب إلى الذهن أن أي جامعة تعترف بهذا الموضوع الواسع الغامض ، ستجد في الخطوة التي خطتها مساسا بكرامتها ، بل بالعكس ، ستكون إرادتها الحرة في خدمة العلم وتقدمه سببا في ازدياد قدرها كمركز للتقدم المستنير .)

نغمة جديدة ، واتجاه فيه الخير حتما ، سواء أفضى إلى النتيجة المتوقعة أم إلى غيرها ، لأن نتائج البحث العلمي الصحيح لها دائما قيمتها . والآن نورد مثالا من المشاهدات التي تعرض كثيرا للعلماء القليلين المشتغلين اليوم بهذه البحوث .

في سنة ١٩٠٣ تلقى السر ألفرد لدج من صديقه الأستاذ شارل ريشيه رسالة فحواها أنه في الليلة التي قتلت فيها ملكة الصرب وأخواها في بلغراد كان الأستاذ ريشيه مجتمعا بوسيط وبعض الأصدقاء في جلسة روحية بباريس ، وكانت حروف الهجاء تملى عليهم بطرقات على المائدة . فبعد ورود عدد من الرسائل العادية بدا من القوة المتسلطة على المائدة اهتمام وإلحاح ، وأمليت الحروف الآتية بطرقات أعلى من المعتاد Bancalamo عند ئذ توقع ريشيه أن تكون الرسالة باللاتينية ، واستمر الأملاء وجاءت الحروف الآتية Rtgu ، ولم يجد ريشيه في الرسالة أي معنى ، ولكنه استمر في التدوين آليا ، وكانت الحروف الباقية Ettefamille ولم يكن يفهم من هذه الرسالة سوى أنها تشير إلى عائلة ما . ثم لاحظ ريشيه بعد ذلك أنه يمكن تقطيعها إلى كلمات هكذا (Banca La Mort Guette Famille) (بانكا. الموت كامن للعائلة .)

هذه الرسالة وردت في يوم الأربعاء ١٠ يونية سنة ١٩٠٣ الساعة ١٠ والدقيقة ٣٠ مساء . وبعد يومين كانت الصحف الفرنسية غاصة بخبر مقتل الملك اسكندر وزوجته الملكة (دراجا) وأخويها في بلغراد . ومن بين ما ذكرته الصحف أن والد الملكة توفى من عهد غير بعيد وكان اسمه Pança (بانسا) وقد دهش الأستاذ ريشيه عند ما رأى هذا الاسم في الصحف . ولاحظ اتفاقه مع الكلمة الأولى غير المفهومة في الرسالة Banca والخطأ الوحيد هو أملاء B بدلا من P

وبالبحث علم ريشيه أن القتل حدث بعد منتصف الليل بقليل ، فهو في وقت ورود الرسالة لم يكن قد وقع بعد . ثم علم ريشيه أن الساعة ١٠ والدقيقة ٣٠ بباريس توافق منتصف الليل في بلغراد . وهو الوقت الذي غادر فيه القتلة فندق لاكورون دي سربيا ، لارتكاب الجريمة المروعة . إذن فكلمة Guette تناسب الظروف تماما ، إذ تشعر بقط يتحفز للوثوب على فأر . ولم تكن لتناسب الظرف لو أن الرسالة وردت بعد حدوث القتل ، أو وردت قبله بزمن طويل

وفي يوم الخميس ١١ يونية الساعة ٢ مساء ورد الخبر إلى باريس ولم يطلع ريشيه على تفاصيله إلا يوم الجمعة .

تلك هي الرسالة وظروفها . والطريقة التي أخذت بها تعد أبسط تجربة روحية . وهي أن يجلس عدد من الأصدقاء أو الأقارب حول منضدة ؛ ويكون بينهم وسيط ، ثم يضعوا أيديهم على المنضدة بخفة ، فتسمع على المنضدة طرقات لا شأن لأي واحد من الحاضرين بأحداثها . عندئذ تتلى الحروف الأبجدية فتسمع طرقة عند النطق بكل حرف ماعدا الحرف المراد إملاؤه ، فيدون ، وبعد الانتهاء تقسم الحروف الى كلمات .

كيف نعلل حدوث هذا الطرق على المائدة ؟ أقرب تعليل له هو أن الوسيط يحدثه بطريقة شعوذية لا يتبينها الحاضرون . ولكن لو سلمنا بأن الوسيط هو الذي يحدثه عمدا ، كيف نعلل ورود رسالة كهذه التي ذكرناها ؟ كيف علم الوسيط بوجود المؤامرة لاغتيال الأسرة المقتولة وحلول وقت التنفيذ ؟ إن سر هذه المؤامرة كان بطبيعة الحال مصونا أشد صيانة ، ولولا ذلك لحبطت ، فبعيد أن يكون الوسيط على علم بها وهو في باريس .

يعلل لدج هذه الظاهرة بأن واحدا ممن ماتوا وكانوا يشاركونه هو وريشيه بحوثهما قد انتهز هذه الفرصة ليضع أمام ريشيه دليلا على الاتصال الروحي .

أما ريشيه فمع اعتقاده بانتفاء الشعوذة من هذه المشاهدة ومثلها بالنسبة لما يتخذه من التحوطات ، لا يذهب في تفسيرها مذهب لدج بل يعزوها إلى انتقال الفكرة من عقول القتلة في هذه الحالة الى